AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

892.78
Q12Ys A
c.1

نصوص ودراسات

على الادب العربي في افريقيا

محمود قابادو

بقلم

بشير العابرين السنوسي

١٩٥١

مطبعة العرب بنهج القيروان - تونس

ث ل ا ث ة ر س ا ئ ل

ل ي ف ن ا ر ي ف ي ب ي ر ا ب ب ٧ ا ر ي ه

ع ا ل ب ل ق ا ر ص ح

ب ق ل م

ل ا ن ت ش ا ر ا ل ا ر ا ض ي

١٥٨١

ب ن ا ي ة - ن ا ش ر ا ل ا ر ا ض ي ف ي ب ي ر ا ق ف ص ل ة

نصوص ودراسات

على الادب العربي في افريقيا

محمود قابادو

بقلم

بزين العابدين السنوسي

مطبعة العرب بنهج الديوان - تونس

ترجمة

أبو الثناء محمود بن محمد بن محمد بن عمر ، قابادو ، الشريف

أصله

صفوة مجد من أعقاب المهاجرين الاندلسيين الذين لجأوا لتونس ، بعد الحرب الصليبية التي شنها الفرنج والنرمان على بلاد الاسلام

وكانت عائلته تعيش بالعاصمة تونس وكان والده من طبقة الصنائعية « زناداً » يعمل أزندة البنادق .

نشأته

ولد محمود سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م.

وأدخل الكتاب ، فكان شذوذاً غريباً بين الصبيان! فلقد كان آية في الحفظ وآية في نسيان ما يحفظه البارحة. وكان آية في البداهة وآية في الجهالة والغباوة، في الاوليات البدائية، وفيما لا يجهله انسان!

وبالفعل فقد أتم « القلم الثاني » ولا يكاد يكرر سورة مما مر على حفظه سلكتين ! ويروون أنه ضاق به المؤدب وضاق به أبوه ، فصفاه دون أن يجد مجالا للاعتذار، فتأثر حتى امتنع من العشاء ودخل بيت نومه وسبت. فقام الوالد والوالدة للعشاء ... وبينما هما كذلك اذ صوت الولد يتلو القرآن ، فتطلعا ليريا هذا الجرم للمرة الأخرة، ويستبشرا به ، فاذا هما بالبيت خامدة في الظلام ! وحار

الاب والام فان الولد البليد لم يحفظ شيئاً ... فكيف يقرأ في الظلام ؟ وقاما بالقنديل الى البيت فاذ الولد صرة يتتالى منها القرآن بلا تعثر. فيا لهول ما رأياه ! فلقده دخل سراويله الفضفاضة وتك على نفسه حزامها الى الداخل وهو يجلجل كتابه ... فلم يجسر الاب على شيء وجلس مدهوشاً مع الام ينظران في هول ... والكتاب يتلى على طرف الثمام ودموع الاب تتساقط بالحمد والابتهال ، ولا يجسر أحد على تحريك الصرة التي باركها الله ... حتى أتم القرآن جميعه، فسكت فجأة.. فتلمساه فاذا هو نائم . وتركاه الى الغد ، فترقباه حتى قام في وقته ليذهب للكتاب فاذا به يتعثر في التكة حتى حلاها عليه . ويسألانه فلا يعرف مما وقع شيئاً . وأعظم هولا على الاب والام أن قد لقياه بليداً كما كان لا يحفظ قلبه القرآن الذي باتا ليلتهما وهو يتلوه .

فما أغرب هاته العقلية التي سنرى في نهايته أنها

ستصحبه الى قمة مجده وآخر أيام شيخوخته. فهو من شواذ أصحاب الذاتية المزدوجة باستقلال عقله الباطن بالحفظ والذكاء بينما عقله الظاهر على بساطة غريبة.

قرأ كتاب « الاجرومية » في الكُتّاب على العادة من أن الكُتّاب يتكفل بتعليم مبادىء العربية والقراءات، وتعلم القراءة بالفعل ولكنه لا يستحضر قاعدة من قواعد ظاهر (المتن) الذي لن يستحضره كثيره واذا هو يقبل على قراءة كتب سر الحرف والنواميس الالاهية والمطالب الغريبة مما كان يستثير والده ولا يجد تأييداً من مؤدبه ولا من غيره من أهل العلم... وانتهى به الامر أن مل السخط الذي يثور من حوله واختلطت مداركه ووجد نفسه مندفعاً للخروج من البلد وعن القطر جميعاً وهو في ١٩ من عمره، صبياً شاذاً. ولم يفتش عنه احد، لان والده نفسه قد كان مقتنعاً ان ابنه ليس كالابناء، داركه الله بلطفه، مشرفاً الى طرابلس

رجوعه ثم هجرته

رجع لتونس شابا في شرخ فتوته - في ٢٣ من ربيع حياته - وقد تفتق ذهنه بعد البلوغ وانقشع السحاب الغيم عن ذاكرته ... فنجده سنة ١٢٥١ يتنقل بين حلقات الافادة وحلقات الاستفادة . فهو يلقي بدروسه لمبتدئي الطلبة ، وفي الوقت نفسه يوالي حضور الدروس العالية لكبار الشيوخ . ولم يلبث حتى رشحه شيخه احمد بن الطاهر الى تعليم ابن السيد سليمان كاهية صهر الامراء ووزير حموده باشا للعربية الذي قاد جيوش التهدين في وقعة سطيف .

واذا بشاعرنا يستشعر أن اعداءه قد نقلوا أخبار زيجه وجفره ، وانهم يورطونه مع الامارة . بحيث تغلب عنه توهمه الخطر حتى خرج به الى اسلمبول عاصمة الخلافة

وهناك نجده قد اجتمع بالوزير حسين يشتكي اشواقه لتونس ! (١) وفي رحلته تلك يقول قصيدته :

أسمعت يوم البين خفق فؤادي ؟

ام كنت مشغولا بصوت الحادي ؟

على ان هؤلاء العظماء من رجال البلاط التونسي الذين يترددون على الباب العالي ويكونون حلقات الاتصال بمركز الخلافة لم يلبثوا أن طمنوا شاهرنا الشرط الحساسية حتى عاد له اليقين ان المشير الاول احمد باي لم يفكر بشيء مما يوقن قاباذو بان اعداءه يحاولون به ايغار الصدور عليه

---

١ — انظر مقطوعاً من موشحته ص٤٧ من مختاراته بعد هذا .

عودته واستقراره

فرجع لتونس ونزل مرسى اقليبية يوم ١٤ جمادى الثانية صائفة سنة ١٢٥٧ (اغشت ١٨٤١) وكان قد مضى سنة عن تاسيس المكتب الحربي في بلدة المحمدية ، فانخرط الاستاذ محمود قابادو فى سلك معلميه وخصص بتدريس (العلم الرياضي) وتدريس اللغة العربية . وهو لم يبرح عقد الثلاثين من عمره

والظاهرة الوحيدة التي لازمته وعرف بالشذوذ فيها لم تكن تستجلب الاستهانة به . بل بالعكس فقد كانت تستجلب له العطف من الكبراء . ذلك انه كان يعرف حساده ويغلو في تقدير اهتمامهم بمعارضته ويشعر بأنهم يريدون تحقيره بل يعلن انهم يريدون الايقاع به والبطش فيبث ذلك الشيوخ من اساتذة عصره الكبار ربما يضطرون معه لتطمينه وحمايته . وبالفعل فقد قدموه شيئاً فشيئاً .

نرى خصوبة الرجل على انها قد تكرست للتربية الجديدة والعب من مناهل النهضة بلا قيد ، وفي توجيه

الجيل الى ذلك وهو لا يقتصر على التدريس بل يفرغ فيه جميع جهده البشري الكريم ونشاطه العظيم . وقد أبقى لنا من معالم هذا الجهد ما تراه في مقدمته على كتاب فنون الحرب وما يمكنك ان تلحظه من سائر قصائده الاجتماعية والعمرانية ضمن ديوانه . ويمكنك ان تتبع من خلال ديوانه صفحات زاهرة من المؤسسات التقدمية لعصرها والمنشآت والاصلاحات التشريعية والاجتماعية اذ قد تكفل بتهذيب ما يترجم من التآليف عن اللغات الايطالية والنمساوية والافرنسية، مما يحضرونه للتدريس في المكتب العسكري أو هو كلية الهندسة الحربية .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الجيش النظامي التونسي قد حل مكان عساكر الانكشارية التي كانت قد ألغيت فاصبح الجيش قوة داخلية وطنية يجمع بالتجنيد العام منذ سنة ١٨٢٥ وحل مكانها التجنيد الاجباري العام . ولكن الاوامر قد بقيت تعطى باللغة التركية توحيداً

لنظام جيوش الخلافة . وكذلك للمصطلحات الفنية فقد اعتمد فيها على اللغة التركية . وما زال في تكنة باردو آثار من هاته المخطوطات العلمية والجهد التقدمي ، وما زالت بعض العائلات تحتفظ بكراريس من تلك المؤلفات وان مراجعة تلك المخطوطات والكراريس تريك مبلغ الرقي التدريسي في جمال الخط وحسن التبويب والنظام ودقة التصوير والتخطيط الهندسي والتلوين. مما ليس هذا محله وانما ذكرناه لنفهم حقيقة ما نأتي به من نماذج أدبه الدال على خبرة صاحبنا وتوجهه التقدمي .

وقد سكن بلدة الحمدية وانقطع لمهامه التثقيفية على مسافة ١٠ أميال من العاصمة فتشحر أدبه برياضياته وتركب عقله من عنصري دروسه التي اختص بها ، وهما اللغة والحسابيات (العلم الرياضي) ، مضاف عليهما خبرته في الحياة كما علمته رحلاته وتقلباته في البلاد بين الصحاري وما وراء البحار ، بحيث نضج واستوى على نار التجارب

فأمكنه أن يقشع عنه ما ران على عقول غيره من عموم علماء عصره الذين لم يروا الا بيئة واحدة وتياراً واحداً من ألوان الحياة . فأصبح ممدوداً في وجوه البلاد ، على قدم المساواة مع عظماء الدولة وشيوخ العلم الكبار ، فيبادلونه التواصل والتزاور والتعاون ويترددون على بيته (١)

* ٥ *

ولما توفي المشير الاول أحمد باشا وأغلقت الكلية الحربية أحيل على التدريس في الجامع وأسندت له الرتبة الاولى من أول وهلة (١٢٧١) فانتقل الى العاصمة لعهد احمد باي .

ورفاه المشير الصادق الى خطة قاضي باردو ، وهي تعني خطة الاستشارة التشريعية لدى البلاط الملكي

---

١ — انظر مقطوعه عن زيارة وزير المعارف حسين أثر رجوعه من سفارته بباريس سنة ١٢٧٣ هـ. ١٨٥٧ م. ص ٨٠ ج ٢ طـ تونس ومن تقليبك ديوانه ترى ملحه معهم وردداتهم عليه وتهاديهم الكتب وتبادلهم المآدب . . .

رأساً . وفي عهد استشارته تلك وضعت مجلة القوانين وحجر على القضاة تعاطي مسائل الدماء والسرقات وغيرها من المعاملات فأحيلت جميعها للمجالس العدلية ، وبمجد رأي حضرة المفتي صريحة في ذلك بقصيد له خلد به حالة عصره (عام ١٢٧٧) ومقتضيات التشريع الحضري (٢)

وفي ٩ شعبان ١٢٨٥ رقي الى خطة الفتيا بمحكمة الديوان الشرعي بالحاضرة حتى توفي على مقامه صباح الاربعاء ٣ رجب ١٢٨٨ (اكتوبر ١٨٧١)

سمته

وصفه الشيخ رشيد الدحداح كما لاقاه ذلك العالم السوري النصراني وهو صاحب جريدة البرجيس التي كان يصدرها

---

٢ ـ انظرها ج ٢ ص ٦٠ وهي في ٨١ بيتاً مطلعها :

العدل عهد خلافة الانسان ٭ ومداد ظل الامن والعمران
وبعدل البشر اقتضى ايلافهم ٭ بتعاضد من دأب ومدان

فى باريس وشاعرنا فى عشرة الستين. قال :

« أما حليته : فقد كان طويل القامة ، معتوفى الجسامة ، رقيق البشرة ، أبيضاً مشرباً بحمرة أدعج العينين ، حسن الابتسام ، عذب الالفاظ ، لطيف نغمة الكلام ، يميل برقة لفظه الى الاشمام .

وكان سهل الجناب ، رقيق الحاشية أنيساً ، متضعاً ، على أنه ما كان يحجم أحياناً عن القول أنه أعلم الناس طراً . وما كان مهذاراً ، ولا سريع الكلام .

وكان يخيل لسامعه أن فيه سراً موجباً لتصديق ما ينطق به . ذلك أنه ينطق متأنياً ، كأن كلماته تتصعد من سويداء قلبه ، يرافقها أحياناً تصاعد أنفاسه .

وكان يحب الوحدة كأنه غير راض على الناس ومع علو طبقة عقله كان يظهر أحياناً ساذجاً . وما كان يسعى للدنيا ، ولا يحتال لطلب الوجاهة . ولذلك كان قليل النشب ترافقه حرفة الادب . (١) »

---

١ — ص ٥٠ كتاب قطرة الطوامير ط باريس ١٨٨٠

أدبه

يمتاز أدبه بروعة الديباجة فى مفرداته النير المبتذلة والشريفة ، وفى تراكيبه . فان سعة اطلاعه فى اللغة ومناهجها قد بلغت بعبارته أقصى درجات التعفف ، وربما أشرفت به على حد من الاغراب الذي قد يتعمده تعجيزاً ولكنه متحكم فى درجته ، بحيث نراه يوطىء من لفظه وتركيبه بقدر ما يشرف معناه ومطلبه الذي يتصيد تقريبه للاذهان من مقاطيعه الاجتماعية ، بينما يطلق قدرته على حدها مع مواضيع المدح وأشباهها من زخارف المواكب وهذا فن دقيق عزيز المنال (١)

ويمتاز أيضاً برشاقة التواريخ التي يصوغها فى قصائده بحساب الجمل (٢) وله فى هذا الضرب معجزة لا نظير لها

---

(١) ـ راجع قصيدته فى موكب ولاية المشير الصادق باى ثم لاحظ ميزة السهولة فى مقطوعها الاجتماعي الذي نقرأه هنا ص ٣٣

(٢) حساب الجمل هو اعتبار أحرف الهجاء (أبجد) أرقاماً على

من قصيدته (سوق أساطيل البوارج ، لسوق اباطيل الخوارج) التي لم تزد على ٣٦ بيتاً يستخرج منها :

..... ١٠٠ تاريخاً كلها لسنة ولاية ممدوحه السلطان عبد العزيز خليفة عصره (٢)

***

وشاعرنا حلقة اتصال بين العصر البياني والعصر الاجتماعي . فقد خرج بالادب الى المواضيع الاجتماعية والى العمل فى سياقة سوق المجتمع نحو التطور فى الحياة العمومية فصار شوطاً عجيباً ، ناهيك بقصيده الذي ايده به احلال القوانين الوضعية محل الشريعة الاسلامية باقامة المجالس العدلية ومنع قضاة الشرع من الحكم فى المعاملات والتجارة والجنح والجنايات .

ترتيبها من الواحد الى العشرة ثم ٢٠ ثم ٣٠ الخ وكانت الكتابة به قبل رواج الارقام في الفقرة ٢ و ٣ هـ.

(٢) انظرها وبين أساليب استخراج تواريخها في كتاب قطرة طوامير من ص ٤٢ - ق ٦٥

صحف مختارة

من ادب محمود قابادو

قسم النثر

تطور الاداة والاسلوب

في هذا العهد ..... استحدثوا تلك الطسامة التي هي احدى الكبر ، لواحة البشر ، التي لا تبقي ولا تذر . الصواعق الصناعية الصادرة عن الاسلحة النارية. فأداروا بها دائرة البوار على اليلب المدار . وأباحوا حمى الدلاص الماذية والموضونة الحطمية وقلصوا ظلال القنوات وبتروا البيض البابرات. فزف حديث البسالة المنزل المهجور ولعبت به ريحا صبا ودبور .

ولما طبقوا بها من أمنيتهم المفصل وأصموا من رميتهم المقتل، شب عمر جندهم عن تطوق اوزار الحروب السالفة، وشمخ طور ظورها الى الاشراف على أوزار مستأنفة فعطفوا أعنة أفكارهم الى مقدمة أجنادهم وساقتها وصرفوا وجوه أنظارهم الى قلبها وبحبوحتها... فوجدوا الهيأة التي افرغ

القدماء الكتائب في قالبها ونظموا الجنود في سلك مراتبها ليس بينها وبين سلاحهم الناري موافقة شن وطبقه ومواخاة حريق وحرقه . فرغبوا عنها الى التعابى التي راضوا بالعلوم الرياضية صعابها وفتحوا بأقاليد التجربة ابوابها . ولم يزالوا كل آونة يزيدون نغمة في طنبورها وبلبلا في صنبورها يوزعون لها كافة اوزاعهم ويجتابون بها اودية افراعها .

فقل لاقوام عن سنن هوائد الله يعمهون وفي تيه اطراح الاسباب يهيمون ، قد برح الخفاء ولكن لا تفهمون ، ام هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

* — من مقدمة كتاب « أصول الحرب » الذي ترجم سنة ١٢٥٥ (لمكتب الحرب) الذي أسسه أحمد باي الاول في بلدة المحمدية وقد هذبه الشيخ قابادو أستاذ الرياضيات وأستاذ الاداب العربية في نفس تلك الكلية الحربية التي هي أول كلية حديثة تأسست بأقطار مغربنا العربي.

تعاون الطبقات

قوم استدارت رحاهم على قطب الجد . وبكرتهم على محور الكد وصاهروا ببنات افكارهم صعلوكهم ، ابناء أقيال ملوكهم . فلقحت اذهانهم وتناسلت افنان فنونهم واستنبتت قرائحهم وتنافست موائحهم . فلا الاكداء والاجبال ينبي منقارهم ، ولا الاسهاب والاسباخ يثني ضواقرهم . فبحق ان يمهوا طويهم ويشفوا دويهم . ثم لاغرو أن تشرئب اطماعهم ويستتب ازماعهم ، الى اقوام ضالة الحكمة فيهم غير منشودة وبنات افكارهم موؤودة . اذا انجب احدهم غيداء لم يجد لها ماهرا ، ولو زفها مجانا لم يجد لها مصاهرا . فكم لاباء العلوم من كواعب اتراب ، قد أمسكت على هون او دست في التراب . وانى تتلاقح الاذهان ، اذا لم تناكحها بواعث الاحسان .

الرجعيون

ما لاحلاس ابياتهم ودواجن بيوتاتهم ، يلحمون فى لومهم ويسرون ثم يلوون رؤوسهم و يصدون ! زعما منهم أنهم (أن التقدميين) تشبهوا بالكافرين ، واتخذوا اولياء مودون المؤمنين .

فخذ ما اصاه الفهم ودع ما انماه الوهم . اما علمت ان الحكمة ضالة المؤمن ينشدها ، ولا يبالي ان يجدها . (وهنا اورد نماذج كثيرة من اقدام النبي على الاستفادة من حضارات الامم الاخرى)

شورى الجمهور*

لما كان العدل نظاما لعقد العمران ، وعهد خلافة الانسان ، وجب أن يتحد في التحصين ، بمسياجه عن تطرق الظنن ، وترصين معقله بتظاهر المنن . ووزع نوازع الاهواء عن استباحته ، والاخذ بحجز الاراء الى حماية ساحته .

ولغلبة سلطان الهوى بما له من الاصاله ، على وزعة الدين والمروءة والحياء المعبر عن مجموعها بالعداله ، تعسر أن يستعصم غير المعصوم من داعية هواه ، الا بالانقياد لسواه .

فالرئيس مفتقر لشد ازره ، الى الاشراك في أمره .

---

* — مقتبسة مما كتبه في ربيع الثاني سنة ١٢٨٥ بمناسبة ظهور كتاب أقوم المسالك سنة ١٢٨٤

والمرؤوس مكلف بانشراح صدره ، للاذعان في المنشط والمكره .

ومن ثم كانت يد الله مع الجماعة ، وعصم الاجماع الى قيام الساعه .

ولم تزل الشورى في كل ملمه ، ديدن السلف الصالح من قادة هاته الامه . حتى أثنى عليهم الكتاب المجيد . اشارة الى أنها من سننهم التي تنكبها ضلال بعيد . ومثل في الانجيل ما لهم من المؤازرة ، بزرع أخرج شطأه فآزره .

ومن سبر بمسبار الروية أغوار السير ، وجس بأنامل الالمعية نوابض البدو والحضر ، واشرف على استشراء الممالك الاروباوية وتغطرفها ، واستئسادها وتصلفها ، بما فوقته من أبراد الحضارة ، وما أورفته من ظلال العماره ، لا تخامره ريبة في أنها نتائج متناسقة الكعوب ، ومغارس متضامة الجنوب . سنخها تضافر العزائم والالباب وانعطاف

بنات الب ، على اطراح الاغراض الشخصية ، للمصالح الكلية .

ثم اذا عطف أعنة النظر الى الممالك الاسلامية . و تقراها ، وجاس خلال مدنها وقراها . وتبين ما منيت به من تزايد الغمرات ، وتناقص الاموال والانفس والثمرات. لا يتمارى في أن حورها بعد الكور ، وارتدادها عن النجد الى الغور . ليس الا لعدم رعاية الحقوق العامة حق الرعايه ، وقتل الحمية بالتنازع المفضي الى ذهاب ريح الحمايه . فكأنها مسارح جياد ركبت أرسانها ، وألفت مرحها واستنانها . لا تكاد تسمح لرعاتها ، بالتخلي عن مألوفاتها . فهي مفتقرة الى تدبير سياسي ، فى تأليف ايناسي ، يلهب حميتها الى مساعفة الراضة ، ويهب أريحيتها الى مساهمة الامة المرتاضة .

قسم المنظوم

العلم *

دليل اصطفاء الله للعبد علمه * وتشريفه أن يكشف الحق فهمه وليست فنون العلم الا طرائق * يؤم بها كل امرىء ما يهمه... فمن علم الاشياء وفى حقوقها * ودان له فيما يحاول خصمه وكل فنون العلم للملك نافع * ولا سيما ما ساير الملك حكمه لذاك نرى ملك الفرنج مؤثلا * بعلم ، على الايام يعتد بعمه ومملكة الاسلام ينقص ظلها * وينقص من أطرافها ما تضمه

---

* قالها بمناسبة رجوع شباب البعثة العلمية التي رحمت من أوربا ومنها المرحوم المنجم خزنه‌دار والد شاعرنا (الشاذلي خزنه‌دار) وكذلك أخوه الاكبر محمد خزنه‌دار . وذلك سنة ١٢٥٢ ولم يكونوا كلهم في كلية واحدة ولا كانوا في بلد واحد . عرف منهم اسماعيل للملوك (بلغ بدهاء رجة بمقام) كان فى كلية بوردو وابناء الوزير في باريس .

على أنها أجدى وأبسط رقعة * واوسط اقليما من الصعب قضمه
وامرق في منمى الحضارة موقعا * واطول باعا يفلق الهام دمه
وقدما تناهت في الفنون توغلا * وجمع طم الصنع فيها ورمه
ودوخ مغزاها الاقاليم سبعة * وتاخمها من سد ياجوج ردمه
فلم يجد المستعبدون لعزلها * سوى العلم نهجا للرئاسة امه
فكان لهم منه النفوذ الى المنى * ولا سيما ثغر خبا منه نجمه

* * *

فمن لم يجس خبرا أروبا وملكها * ولم يتغلغل في المصانع فهمه

البيت ٧ — (قضمه) من قضم الفار اذا قرض بأسنانه الاشياء الصلبة .

٨ — (منمى الحضارة) مكان تنميها وازهارها (دمه) حقيره .

٩ — (الطم والرم) أي البحري والبري ، كناية الاستيعاب والكثرة

١٠ — (الغزى) من الغزو . يسرد أخبار غزوات العرب حتى حدود الصين وسيبيريا مما يعتبر (سد ياجوج وماجوج) .

١١ — (أمه) قصده . لم يجدوا غير العلم طريقا يقصد للوصول الى الغلب والاستعلاء .

١٢ — (الثغر) المدينة على ساحل البحر معدودة لرسو السفائن وهاته المذكورة قد كانت عرضة لاساطيل الحضارة خصوصا اذا لم تجار في التحصينات العلمية . وهو هنا يريد موقف مدينة الجزائر التي سقطت ١٨٣٠ م — ١٢٤٦ هـ

فذلك في كن البلاهة داجن * وفي مضجع العادات يلهيه حلمه
ومن لزم الاوطان أصبح كالكلا * بمنبته منماه ثمة حطمه
هم غرسوا دوح التمدن، فرعه * الرياضي والعلم الطبيعي جذمه
فكان لهم من ظله متقيل * من الصول يحمى بالمكائد اظمه

* ٥ *

ايجمل يا اهل الحنيفة انهم * يبزوننا فخراً، لنا كان فخمه
لقد فاتنا في بادىء الراي صوبنا * واشفى لعمري ان يفوت ختمه
تباعد شوطاً مقدم ومقهقر * اذا لم يحن منه التفات يزمه
لعمرى ليس الليث من اودع الثرى * ولكن مطيق للغنا بان عدمه...
لقد قتلوا دنيا الحياتين خبرة * فمن لم يساهمهم فقد طاش سهمه

---

١٦ — (الدوح) مفرده الدوحة : الشجرة العظيمة . (الجذم) هو الجذع ومنبة الشجرة . فدوحة الحضارة تقوم على ساق العلوم الطبيعية وافرع العلوم الرياضية .

١٧ — (الاطم) الحصن ويجمع على آطام .

١٩ — (الصوب) الانحياد (أشفى) أشرف واراقب اشفاقاً .

منح البغلة

كانت البغال تقدم للموظفين مقام السيارات اليوم - وكان يدرس فى المكتب الحربى في المحمدية على ١٠ كم؛ من العاصمة فأعطوه بغلا ينزل عليه . . وله فيه قصائد يخاطب بها وزير الحرب مصطفى آغه لتحقيق منحة العلف ومنحة السرج ... يقول فى بعضها :

أني نزلت كما تـدرون في بلد ... مرافق العيش عنه كلها جنب
ولي بتونس حاجات بجشمني ... لها الركوب على ماليس يرتكب
من بغلة بافتقاد التبن قد عجفت ... حتى استلان لها من يبسه الخشب
مر الخريف ولم أظفر بتذكرة ... فيه ويقلقني التـذكير والطلب
هذا وان لها سرجا يذكرني ... خف المسافر، فيه المسح يجتنب
أبلى قواه دوام السير فهو على ... قصد الطهارة قطعا خلعه يجب
قد كنت أنزل عنها حين أقرب من ... أرباض تونس علما أنها عجب
تضطرني الآن أوحال الشتاء الى ... ركوبها حيث كان الناس يرتقبوا
وما ابالي ! ولكن، ما اقول لهم ... وكلما ابصروني راكبا عجبوا ...

عودة السفير *

أيا لسفير سافر عن جلالة * لمرسله حيث النهى تعدم الضبطا
فأكد ايلافاً وأثل مفخراً * وأرضى العلا قولاً وفعلاً وماشطا
وجلى بميدان السفارة ظافراً * فلا طرفه أكبى ولا عزمه التطا
فعاد حميداً ورده وصدوره * ولم يبد ملء السجل في نشطه وبطا
وأقبل والخضراء تبدي احتفالها * واقبالها فخراً بمالكها الاسطى
يؤم بوفد الروم من شط عيلم * الى عيلم لا جزر فيه ولا شطا

---

* هو وزير البحر لعهدها (خير الدين) قد أوفده الصادق باى سنة ١٢٧٦ هـ. ١٨٥٩ م. الى اسلامبول سفيراً فوق العادة وقد شيعه بنفسه من حلق الوادى فى ٧ ربيع الانور - ٥ اكتوبر ١٨٥٩ - فى موكب رسمى ثم اقتبله كذلك . وقد رجع لواليه بفرمان المشيرية . وقد كان خير الدين وجه بالسفارة الى باريز ثم الى المانيا ثم فرنسا ثم انكلتيرا ثم ايطاليا ثم النمسا ، فوفق فى جميع سفاراته تلك .

وفي القصيد غرائب أوصاف دقيقة لقاعة العرش وعصف الرجال ونظام الاقتبال . . . كما لو كنت شاهداً ؛ على نفس ممدود وقافية مطاوعة مهما كانت شذوذات الروى فهى فوت المابتى بيت يحسن أن يرجع فيها للديوان نفسه .

ويجتاز حلق الوادي مشجى كتائباه • تعثر أنفاس النسيم بها خنطا
وقد أبرزت أبراجه من مدافع • تماسيح من لج الدخان اجتوت غطا
فواغر تخشى الشهب وشك التقامها • ويرهب عنقود الثريا بها الخرطا
اذا اجترت البارود غصصا وكررت • على أكرم بة القذف السرطا
على أنها هشت لوفد مليكها • وأرعدها وجد فخيمهم أطا

الكتاب

يا أيها الشيخ الذي لم يزل • تزدحم الناس على بابه
ما ذو وجوه كلما سودت • كان وجيهاً عند أربابه

الشعر و القصيد

أرى الشعر علماً واسماً وسجية * اذا اصطحبا لم يعدم القائل الاربا
ولولا وفور العلم لم تك غاية الـ * ـبلاغة حداً يعجز العرب العربا
يروع براعي حسدي ويشيبهم اذا اسود شيب الطرس من نقسه خضبا
ونحسب يعسوب المعاني لسانه * اذا مج منها الاري أو نقع اللبا
أخال دواتي أو هي مبزل دنها * أبانت على أعطافه نشوة الصهبا
كأن بناني منه في ظهر سابح * يحن الى مغنى به الف الخصبا...
تكاد معانيه تسابق لفظه * على أنه سلسال سيب قد انصبا
وتحكي بما تبدو به من صفائه * بوارق صخر أو خيال كرى هبا
فان تكن الاصداف حجب جواهر * فألفاظه ليست لما ضمنت حجبا

---

* ضمن قصيد « بشير الهمامي بدولة المشير الثاني » بلغت ٤٢٧ بيتاً قالها سنة ولاية محمد (بالفتح) باي ١٢٧١

كأنهما روحان راما توحدا * فعانق كل منهما الفه صبا
يكاد بيانا يفهم العجم حكمة * ويونس من وحشيها النافر الصعبا
جلت غرر الاصباح من طرر الدجى * حسان معانيه مقنعة كتبا
يقرضه دون اختيار حسوده * ويروي حلاه من يود له ثلبا...
تسامى له فكري بقسطي محلق * وغاص له نطقي على الدرر الشهبا
جلوت به عذراء فكر يتيمة * أبى الدهر يوما أن يضم لها تربا
حجازية نجراً عراقية حلى * معربة لطفاً مولدة هذبا
بألحاظ ألفاظ لها الحبر أثمد * تنض على سحر البيان به هدبا
أداسي معانيها بخمرة دلها * سكارى يكاد النيه يوردها الغربا
يكاد نسيم النطق يجرح خدها * بتقبله أو ينتضي بردها سلبا
أرق من الاسحار ثوبا ونسمة * وألطف من نوم بها غازل الحبا
مخدرة عذراء، لكن طباعها * كمال قد استوفى التحنك والاربا
فان تبتذلها فهي أطرف قينة * وان تحظها تمحظك ناسة سبا
تسرك في النجوى وترضيك في الملا * ويروي حلاك الدهر مقولها رطبا
ولم يطو دهر حلة من فضيلة * غدت في صوان الشعر تنشرها الانبا

الجيش النظامي *

ألف السلاح فأنت لو كلفته ٭ القاه لتعذر الالقاءُ
هزوه حتى للتحية بينهم ٭ وبه يرى اكرامهم ان شاءُ
واستخدموه المنايا والمنا ٭ فكأنه لجسومهم أعضاءُ

---

* من قصيد وصف به استعراض الجيش سنة ١٢٥٩ هـ. ١٨٤٣ م. في حصون بلدة « المحمدية » التي أشادها المشير الاول . وفي هاته القصيد مصارحة وانذارات (للفرنسيس المجاور أرضنا) فالغزو الذي بدأ باحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ قد استفحل وكانت التثورات والانتفاضات تأخذه من كل مكان . ولم يخمد أوارها الا سنة ١٨٧٠. فالعصر كان في أضيق حلقات الازمة والتهديد الذي يعبيء له الملك أحد الجند ويبني الحصون ويأذن الشعراء باثارة الحرب الباردة تحذيرا وتوقيا من هذا الدخيل الذى لا حدود لمطامعه . وبرهن التاريخ على أنه لن يقف ما أمكنه الابتلاع والتوسع
والقصيد طويل جداً أثبت منه والدنا في الديوان الذى طبعه ٩٠ بيتا ونص على « هذا ما حضرني من هاته القريدة ... »

أبيت ٣ — (المنايا) مفردها منية : وهي الموت ، (المنا) مفردها الامنية : المشتهى

قوم اذا اعتقلوا البنادق طاعنوا • مستلحمين وان جلت فرماء...
نظموا البنادق والزناد وناضلوا • بالشهب لا قذف ولا سمراء
رصدا اذا غضب السلاح تذمروا • حتى يعود الى السلاح رضاء
ثبتوا على سرج الجياد تقودها • عزماتهم لا القبض والارخاء...
قد سخروا منها الرياح تقلهم • ان حال أخدود ولاح نجاء...
لبسوا السواد وأعلموا بأهلة • وعلا الاسود الليلة القمراء
فاذا أهيب بهم بصوت واحد • مثلوا ولما ترجع الاصداء

---

٤ — (رماء) مصدر : راماه مراماة ، فهم رامون اذا جلت الصفوف تباعدوا من العدو . وهي في المطبوع (فدماء)

٥ — الزناد هو ما نسميه اليوم المسدس ولم يكن لعصرها ذا ٦ طلقات بل كان « فرداً » « زناداً » يقدح النار في البارودة التي تطلق ، وهذا الزناد هو سلاح الضابط .

٨ — (أخدود) خندق (نجاء) مرتفع

١٠ — يصف بها نظام حركتهم وطاعتهم عند القتال اذ ذوات أو حركات العسكرية (أهيب) هاب به : ناداه وأمره (مثلوا) انتصبوا (الاصداء) مفرده الصدى : رجع الصوت . فكأن جمعهم يتحرك بروح واحد .

متناسقي الحركات، في أشخاصهم * روح ، كما قد قالت الحكماء
نظمت قوافي الجاهلين سيوفهم * عقداً زهت بنظامه العلياء ...
جيل نسميه النظام فكم به * نظمت ألوفاً طعنة نجلاء

قبلة العين

سألت من المليحة برء دائي * برشف برودها العذب المزاج
فما زالت تقبل في جفوني * وتبهرني بأنواع الحجاج
وقالت ان طرفك كان أصلا * لدائك فليتقدم في العلاج

خيل وفرسان

لقد بلغت منها الرياضة مبلغاً
تناهت به ثقفاً وطوعاً لمن أعطى
فلو ديم منها حيث تخطو تقربا
لجوهر عقد ثيل لم يعده لقطا
تعودت البارود فهي اذا رعا
صقور لكثب القصيد تبتدر الخرطا
عليها من الاعراب كل مقذف
اذا ما انبرى للقرن عاجله أقطا
يريك اذا أجرى تقلب ثاقب
بظهر لبطن غير مستوجس لبطا
فان شاء كانت صهوة الطرف مقعداً
وان شاء كانت موطئاً له أو ملطا

تشبهم به شخصاً حديداً وهيكلا
حوى مغنطيساً حيثما اتصلا لطا

* — *

لقد ربح وفد العجم منهم بأمة
اذا انتسب الاسلام كانوا له رهطا
بحيونه شزر العيون كانهم
أراقم ذي قار وما أضمروا منطا
سوى ان للجند النظيم ضرائبا
تحوز المنى كلما ياسرت قسطا
فأيديهم بُطشاً اذا بطشوا يدٌ
وأرجلهم رجل اذا سلكوا خطا
وآراؤهم رأي وفي حركاتهم
نظام ائتلاف يدرأ الشتت والوبطا
وفيهم بأسرار التعالي بصارة
وميزان عدل للقوى قائم قسطا

وخبر بأنواع المكائد مسند
لتجربة تنبي عن الصوب والاخطا
وعلم بتصريف السلاح ووضعه
واحكام حصن قر أو مترس خطا
وتأليف أعضاء الجيوش بحكمة
تعدل منها الزحف والرفع والحطا
كان الوغا نيروزهم ورصاصه
نثار من العناب أو ثمر الارطى
من الانس الا أن للجن فيهم
مشابه يبديها شواظ الوغا قعطا

النظر الحديد

عتبت لنظرة أخذت بقلبي * فطار الى الغرام بلا جناح
فقال انا كما تدري حديد * ولكن مغنطيسي في الملاح

الحب و الامل

(حديث عنقاء صب أدرك الامل):

أو رام يسلو هوى من شاقه فسلا
لا أحسب الوصل حظاً في الصبابة بل
(حظي من الحسن أني بعض من قتلا)
(حقاً لقد نصح العذال لو قبلوا)
ورب نصح - برغم المرء - ما قبلا
ان كان بالسبق قد يقضي لذي أثر
(فالسيف من لحظ موسى يسبق العذلا)

---

* تشطير قصيدة ابراهيم ابن سهل الاشبيلي - ٦٠٥ - ٦٤٩ هـ. - وهي من لطائف غراميانه في صديقه موسى ، وكلاهما من يهود الاندلس . قد اشتهر بأنه يجمع بين تلطف اليهود وتلطف المحبين . على أنه كان موظفاً في الدولة ثم أسلم حتى مات مع الوالي فريقين في حادثة .

(ظلبت حيلة برئى في محبته)

وحيلة المبتلى أن يترك الحيلا

أملت عواطفه في لحظه سقمي

(فنص لي لحظه الامراض والعللا)

﴿يامن غدا كل لفظ فيه - من طمع﴾

«نعم» ومعناه في شرح الصبابة «لا»

قد صار نثري تعليلا بلا ظفر

﴿عسى وليت، وشعري كله غزلا﴾

﴿منعتني يقظة : رد السلام، ألم﴾

أظمع بشكواك يوما بعض ما نزلا

هيهات قد كنت أرجو النوم علي أن

﴿اجري على الطيف من تكليفه القبلا﴾

﴿كسى خضاب اصفرارا بالضنى جسدي﴾

يزيد جدته جسمي بلا وبلا

عيناه تصبغه صبغا وتحسبه

﴿لو كان ينضح من ماء لما نصلا﴾

﴿شوقي اليك، ولو حملت شوقي قد﴾

اعادني بين ارباب الهوى مثلا

افني اصطباري وجسمي والفؤاد كما

﴿افنى قواني، وافنى الدمع والحيلا﴾

تمر محشو مشحر

وذهبي تمر فضضوه بسكر

وحشواً احشاه لب جوز وفستق

كحبشية قد اقبلت في ملاءة

تقول لصب من رضابي فاستق

مذمة الكسكسو

يرى بالكسكسو لكم اعتناء * ومنه مضاعفاً جاء البلاء
تغال به العقول ولا حياة * اذا غيل التعقل و الحياء
فان تخصب بمرتعه جسوم * فقد هزل التعرف والذكاء
وان يك فيه للبدوي طب * فللحضري أسقام وداء
تعفف عنه كل عفيف طبع * وهام به الطغام الاغبياء
فلست ترى لعمرك هاشمياً * يكسكس ما تلى صبح مساء

(الهاشمي) نسبة لبني هاشم أعمام محمد صلعم (يكسكس) يريد هنا صنعة الكسكسو التي هي حديثة عن العرب بعد دخول الاسلام افريقية، ويوري بها الكسكسة التي هي من خصائص لهجة بني تميم (ذ بالحقود صيناً بكاف المؤنث عند الوقف فيقولون في خطاب المرأة: (أكرمكس). فهو قد استعمل التورية أو غالطك بها الطائفة العربية تذهب العقل!

موشح *

هاج أجفاني وقلبي للغرما
بارق آنسته من تونس
ويحه ! لو يسلح ما علما
ما أماري ان اواري الموجس

الحرارة والبرودة

اتذكر اذ مسحت بفيك عيني * وقد حل البكاء بها عقوده
ذكرت بأن ريقك ماء ورد * فقابلت الحرارة بالبروده

---

* مطلع موشح تنهد به مع صديقه أمير الامراء حسين وزير الشورى الذى جاء في سفارة الى عاصمة الخلافة اسلامبول .

وهذا الموشح يبلغ ٩٣ بيتا عارض به موشح ابن سهل القرطبي « هل درى ظبي الحمى ان قد حمى * قلب صب حله عن مكنس » ، وشاعرنا معارضة اخرى لهذا الموشح . فانظرهما في ديوانه ٢ : ١٣٧ حتى ١٤٢

كاتب ومحبرته

أخذ الدواة وقال « باسم الله »
وبكفه قلم حجاه يضاهي
فتراه نحو دواته متطلعاً
كالقط يسرق من قدرة طاهي

البرتقال

وذهبية الجلباب فضية الحشا
زمردية الاكليل مسكية العرف
نشمونا بها لما ادبرت كأنها
كؤوس ختمناها على قرقف صرف

- جلس اليه وقال - باسم الله ! ياسيدى ! أمل على شيئاً من شعرك - ولاحظ شاعرنا محبرته وجلسته محتشمة لا يرفع اليه بصره مع أن القلم معلول فقال يمازح مستمليه

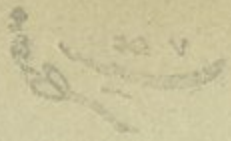

- تقديم ٦
أ ٥١
ب ٧١
ج ٨١
د ١٢
هـ ٢٢
و ٣٢
ز ٤٢
ح ٥٢
ط ٦٢
ي ٧٢
ك ٨٢
ل ٩٢
م ٣٦
ن ٤٦
س ٥٦
ع ٦٦
ف ٧٦
ص ٨٦
ق ٩٦
ر ٠٧
ش ١٧
ت ٢٧
ث ٣٧
خ ٤٧
ذ ٥٧
ض ٦٧
ظ ٧٧
غ ٨٧

فهرست

٣	ترجمته -
١٥	أدبه
١٧	صحف مختارة من نثره
١٩	تطور الادات والاسلوب في الحرب والمضاره
٢١	تعاون الطبقات ميزة الحضار
٢٢	الرجعيون
٢٣	شورى الجمهور
٢٧	صحف مختارة من نظمه
٢٩	العلم
٣٢	مفتح الهنغة
٣٣	عودة السفير
٣٤	الكتاب
٣٥	الشعر والقصيد
٣٧	الجيش النظامى
٣٩	قبلة للعين
٤٠	خيل وفرسان
٤٢	النظر الحديد
٤٣	الحب والامل
٤٥	قمر محشو
٥٦	مذمة الكسكسو
٤٨	تونس
٤٨	كاتب ومحبره - البرقال

مطبوعات (دار العرب) تتعهد
اكبر مكتبة حديثة عصريه بتونس
منها

١ - (الوطنيه) في الادب
٢ - (الدستور التونسى) دراسه
٣ - عبد الرحمن ابن خلدون
٤ - البرم الخامس
٥ - عبد الله بن الزبير - راويه

كل هاته إنما هى بقلم مؤلف هذا
فيجدون عندها أيضا جميع مطبوعات الشر

دار الكتب العربية الشرقية
لصاحبها
محمد فوجة
نهج باب المنارة عدد ١٥ - تو
الحساب الجارى بالبريد ٥٥٣٦

DATE DUE

FEB 1974

893.78:K112YsA:c.1
السنوسي، زين العابدين
محمود قابادو
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01042550